

الْبَاقِي فِي الْأَسْلَاحِ وَالْعَمَلِ

الجاهلية - الدولة العربية - الدولة العباسية

تأليف

الدكتور علي إبراهيم حسن

المفتش الأول للمواد الاجتماعية
بوزارة التربية والتعليم



ملتزم الشئ والطبع

مكتبة النهضة المصرية

لاصحابها حسن محمد وأولاده

۹ شارع عسکری باشا بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

دفعني قيامي بتدريس مواد التاريخ الإسلامي العام ، وتاريخ مصر العام والتاريخ المصري في عصر الفاطميين ، والتاريخ المصري في عصر الأيوبيين والمماليك ، في كلية دار العلوم وكلية الآداب بجامعة القاهرة وجامعة بغداد - كأستاذ للتاريخ الإسلامي ، إلى وضع هذا الكتاب الشامل ألفت كتب كثيرة تبحث في التاريخ الإسلامي ، سواء فيما يتعلق بناحية خاصة من نواحيه أو بالكلام إجمالاً عن ظهوره وتوالى الدول التي كان لها شأن في تسجيل أحداث ذلك التاريخ . إلا أنه على وفرة ما كتب قديماً وحديثاً ، فإن النظرة الشاملة التي تشرف على ذلك التاريخ ، بحيث تحيط به وتنضم أطرافه وتفسر أحداثه ، مما يمثل أحدث الاتجاهات في الوقت الحاضر في تفسير التاريخ ، هو الذي دفعنا إلى تأليف هذا الكتاب على هذا النحو التركيبي الشامل ، وهو الذي جعلنا نعهد لدراسة التاريخ الإسلامي بالبحث في العصر الجاهلي ، لأن ظهور الإسلام - وهو حدث من أخطر أحداث الإنسانية - لا يمكن أن يفهم مستقلاً عن ماضى العرب في جاهليتهم ، لا القرية فقط بل البعيدة أيضاً ، لأن روح الأمة تمتد عبر الزمان حتى لو تقلبت عليها الأديان وتطورت في لهجاتها ولغاتها وعاداتها .

كان الهدف الذي نرمى إليه إذن هو الكشف عن مقومات هذه الروح الإسلامية ، التي انبعثت من جزيرة العرب ، ثم اتسعت فشملت كثيراً من الشعوب غير العربية التي اتخذت الاسلام ديناً والعربية لساناً . وانضوت جميعاً تحت لواء الحضارة الإسلامية ، وكانت تلك الحضارة قوية حيناً وضعيفة حيناً آخر .

وكان لظهور الإسلام أثره الديني : فقد أصبح القرآن والأحاديث دستور المسلمين ، كما كان له أثره السياسي كذلك إذ نجح في تكوين أمة واحدة تخضع للحكومة واحدة بعد أن كانت القبيلة هي الوحدة السياسية التي قام عليها المجتمع العربي قبل الإسلام .

وتعد خلافة الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، شورية انتخابية واتسعت الدولة العربية في عهد عمر بن الخطاب ، فقد ضم إلى تلك الدولة : فارس والشام وفلسطين ومصر . وكان كل خليفة منهم يتوخى أن يحكم وفق الحدود الشرعية ، إذا استثنينا عهد عثمان الذي رماه أعداؤه بأنه يقرب الأصهار ويبعثر الأموال ولا يحكم بالعدل .

وصحب تحول الخلافة من الخلفاء الراشدين إلى الأمويين ، عدة مظاهر ليست من مقتضيات الخلافة ، كظواهر الأبهة والجبروت .

وأخذت الحضارة العربية تترعرع ويشهد ساعدها ، ويعد معاوية مؤسس دولة الأمويين ، واعتبر عهد عبد الملك بن مروان عهد إصلاح إداري شامل في دولة الأمويين . وأعاد عهد الوليد بن عبد الملك عهد التوسع والغزو الذي ساد الدولة العربية طوال عهد عمر بن الخطاب ، فقد فتح الوليد أقليم ما وراء النهر وحوض نهر السند وشمال إفريقيا والأندلس .

ولم يأت صدر الدولة العباسية حتى كانت قد بلغت أوجها ، والتاريخ يحدّثنا أن الحضارة الإسلامية في ذلك العهد قد فاقت سائر الحضارات المعاصرة لها في الشرق والغرب ، وحكمت الدولة العباسية العالم الإسلامي زهاء خمسة قرون . وكان خلفاؤهم من السفاح إلى الواثق رجال عظماء ، ما عدا الأمين فإنه لسوء حظه لم يسار هؤلاء في عظمتهم ومقدرتهم السياسية ، واعتبر العصر العباسي الأول وحدة مفسحة متنافسة ، إذ لم يكن لكل خليفة سياسة شخصية ، بل سار الجميع على سياسة واحدة .

وكانت الحوادث الكبرى التي وقعت في ذلك العهد تسير كلها في تيارات عامة كإسقاط العرب وإثارة الفرس عليهم ، ثم تشجيع الترك على الفرس والعرب معاً ، ونهضة العلم والأدب ، وظهور حرية الفكر في البحث والجدل والمناظرة ، وتقريب العلماء والأدباء والمغنين ، وترقية الفنون الجميلة كالعمارة والشعر والموسيقى وهو على الجملة العصر الذهبي للإسلام .

وبقيام العصر العباسي الثاني سنة ٢٣٢ هـ ، زال العصر الزاهر في الدولة العباسية ، وشمل الضعف معظم مظاهر الحياة في بغداد ، ويمتد هذا العصر أكثر من أربعة قرون ، كان فيها الخلفاء العباسيون تحت سيطرة الأتراك أولاً وبني بويه ثانياً ، ثم السلاجقة أخيراً . وكان الخلفاء كالريشة في مهب الريح ، يتوقف بقاء كل منهم على العرش حسب رغبة المسيطرين عليهم من الأتراك وسلاطين البويهيين والسلاجقة .

وفي سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) سقطت بغداد في أيدي التتار ، بعد أن ظلت زهاء خمسة قرون حاضرة للدولة العباسية ومركزاً للعالم الإسلامي ومهبطاً للعلماء . وبمقتل المستعصم عام ٦٥٦ هـ ، انتهت الخلافة العباسية في بغداد ولم تقم

لهاقائمة حتى أحيائها بيبرس سلطان الماليك في مصر في عام ٦٥٦ هـ (١٢٦٠ م). واستمرت الخلافة العباسية في مصر إلى أن فتحها العثمانيون على يد السلطان سليم الأول سنة ١٥١٧ م وأصبحت ولاية عثمانية .

وقد قسمت الكتاب قسمين : أولهما للتاريخ السياسي ، وثانيهما لنظم الحكم والحياة الاجتماعية ، ووجهت عناية خاصة إلى دراسة التيارات الحضارية والتعليق على الأحداث التاريخية ، لما لها من أثر عميق في تشكيل التاريخ الإسلامي وفهمه على الوجه الصحيح .

والله نسأل أن يسدد خطانا ويهدينا سواء السبيل

المؤلف